سياقات القلب المطمئن
وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم

إعداد الدكتور

آيات علي محمد إسماعيل إبراهيم مكي

المدرس بقسم البلاغة والنقد

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقرين

من ١٠٨٥ إلى ١١٣٢

سياقات القلب المطمئن وأسرارها البلاغية
"في القرآن الكريم"

آيات علي محمد إسماعيل إبراهيم مكي
قسم البلاغة والنقد ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، جامعة الأزهر ، القرين. جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني:ayatismail.2075@azhar.edu.eg

ملخص البحث
تناولت هذه الدراسة الحديث عن سياقات القلب المطمئن، وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، وقد انتظم البحث في: (مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس).
وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج منها: أن الذي يتدبر القرآن الكريم يجد فيه منهج الحياة، ومن ضمنها ما نص عليه المولى – عز وجل – في كتابه العزيز وهو الطريق الذي يحقق السعادة في الدنيا والآخرة، ألا وهو طمأنينة القلب الكامنة في القلب السليم الخالص في عبوديته، ووسائلها كثيرة، منها: الرؤية والمشاهدة، ومنها: التبشير بالنصر، ومنها: حصول التصديق، ومنها: ذكر الله الذي بذكره تطمئن القلوب، وكل هذه المعاني وتعدد سياقتها استقرت في عقلي وقلبي بعد تتبع مواقعها في القرآن الكريم، ثم قمت بحصر مواقع طمأنينة القلب في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، معتمدةً على كتب اللغة والتفسير والبلاغة.
وعدد الآيات التي وردت فيها مواضع طمأنينة القلب: (ست آيات)، قمت بتفسيرها جميعًا، ثم تحليلها، ووصف ما فيها من ظواهر بلاغية، مميزةً كل سياق عن نظيره، موضحةً السر البلاغي لكل سياق بين الجمع والإفراد.
وقد قامت الدراسة في هذا البحث على المنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي التكاملي، وقد اختص الفعل المضارع دون غيره من الأفعال للتعبير عن الطمأنينة (يطمئن، تطمئن) فبالمشاهدة يزداد تجدد اطمئنان القلب حسب تجدد الذكر، وليؤكد على أهمية ذكر الله، وأيضًا لبيان ما له من أثر على استقرار قلوب الذاكرين، وعدم تزعزعها، كما تدل على صفائها، فبصفائها تصفو لهم الحياة، كما تعددت وسائل الطمأنينة التي هي موضع البحث، منها: المشاهدة والمعاينة، ومنها: السكون والثبات بعد الانزعاج والإكراه، ومنها: التبشير بالنصر؛ لذا تنوعت صيغتها بالمجاز اللغوي بين الاستعارة والمجاز المرسل.
الكلمات المفتاحية: سياقات، القلب المطمئن، البلاغية، القرآن الكريم.

Contexts of a reassuring heart and its rhetorical secrets in the Noble Qur'an.

Ayat Ali Muhammad Ismail Ibrahim Makki
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies, Al-Azhar University, Al-Qurain Girls. Arab Republic of Egypt
E-mail: ayatismail.2075@azhar.edu.eg

Research Summary:
This study dealt with talking about the contexts of the reassuring heart, and its rhetorical secrets in the Holy Qur'an, and the research was organized in: (introduction, introduction, three sections, conclusion, and indexes).
The research has reached a set of results, including: that who contemplates the Holy Qur'an finds in it the way of life, including what was stipulated by the Almighty - in his dear book, which is the path that achieves happiness in this world and the hereafter, namely the tranquility of the heart inherent in the pure healthy heart in its bondage, and its means are many, including: seeing and watching, including: preaching victory, including: Obtaining ratification, including: the remembrance of God, whose remembrance reassures hearts, and all these meanings and the multiplicity of their context settled in my mind and heart after tracking their locations in the Holy Qur'an, and then I limited the sites of tranquility of the heart in the Holy Qur'an and its rhetorical secrets, relying on books of language, interpretation and rhetoric. And the number of verses in which the places of tranquility of the heart are mentioned: (six verses) I interpreted all of them and analyzed them rhetorically, and the study in this research was based on the inductive and integrative analytical method, and the present tense was singled out without other verbs to express tranquility (reassuring, reassuring). And to emphasize the importance of the remembrance of God, and also to explain the effect it has on the stability of the hearts of those who remember and not shaken, as it indicates their purity Its purity describes life for them, as well as the multiplicity of the means of reassurance that are the subject of the study, including viewing and inspection, including stillness and steadfastness after disturbance and compulsion, and among them the herald of victory.

Keywords: contexts, reassuring heart, rhetoric, the Noble Qur'an.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،

فإن الله -تعالى- قد ختم الرسالات السماوية برسالة سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- ألا وهي القرآن الكريم.

وقد أنزله بلغة العرب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: ٢).

وهو المعجزة الخالدة، والحجة البالغة، تحدى بها العرب قديمًا وحديثًا، وهم أهل الفصاحة والبلاغة والبيان، فعجزوا عن مجاراته هم وشركاؤهم من الجن، قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْأِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨).

وقال - سبحانه -: ﴿وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا على عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وادعوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ الله إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٣).

والذي يتدبر القرآن الكريم يجد فيه منهج الحياة، ومن ضمنها ما نص عليه المولى - عز وجل - في كتابه العزيز، وهو الطريق الذي يحقق السعادة في الدنيا والآخرة، ألا وهو طمأنينة القلب الكامنة في القلب السليم الخالص في عبوديته، ووسائلها كثيرة، منها: الرؤية والمشاهدة، ومنها: التبشير بالنصر، ومنها: حصول التصديق، ومنها: ذكر الله الذي بذكره تطمئن القلوب، وكل هذه المعاني وتعدد سياقتها استقرت في عقلي وقلبي بعد تتبع مواقعها في

القرآن الكريم، مما دفعني إلى دراستها وأسرارها البلاغية، فأعددت بحثًا بعنوان:

(سياقات القلب المطمئن، وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم)

وسوف أتبع في بحثي هذا المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي التكاملي، وذلك بحصر مواقع طمأنينة القلب في القرآن الكريم، وأسرارها البلاغية، معتمدةً على كتب اللغة والتفسير والبلاغة، وعدد الآيات التي وردت فيها طمأنينة القلب، وعددها (ست آيات) قمت بتفسيرها جميعًا، ثم تحليلها، ووصف ما فيها من ظواهر بلاغية، مميزةً كل سياق عن نظيره، موضحةً السر البلاغي لكل سياق بين الجمع والإفراد.

ومن أسباب دراستي لهذه الآيات:

- ما وجدت فيها من وفرة الألوان البلاغية، والصور البيانية.
- ما تمر به بلاد العالم من خوف وفزع؛ بسبب جائحة (فيروس كورونا) المستجد، وما تهفو إليه نفوسهم من طمأنينة لا تتحقق إلا بذكر الله، واللجوء إليه.
- أيضًا ما مررت به من محنٍ في هذا العام مرة تلو الأخرى، وما ترتب على ذلك من خوف وحزن دائم لا يذهب إلا بالذكر الحكيم، ألا بذكر الله تطمئن القلوب.
- مع كثرة البحوث والدراسات التي دارت حول دراسة القلب السليم بأنواعه، إلا أن هذه الآيات التي هي محل البحث، والتي تتحدث عن القلب المطمئن، وهو نوع من أنواع القلب السليم لم يتناولها أحد بالدراسة البلاغية من قبل -فيما أعلم-.

وقد اشتمل البحث على ثلاثة مباحث تسبقها مقدمة، وتمهيد، ويتلوها خاتمة، وفهارس.

أما المقدمة: فتناولت فيها مخطط البحث وأسبابه.

والتمهيد: اشتمل على ثلاثة محاور:

المحور الأول: المراد بالسياق.

المحور الثاني: التعريف بالقلب المطمئن.

المحور الثالث: مواطن الدراسة.

أما البحث فيشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: سياقات إفراد القلب المطمئن، وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: سياقات جمع القلب المطمئن، وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: موازنة بين مواقع القلب المطمئن من حيث الإفراد والجمع، والموضع.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج وتوصيات البحث.

الفهارس العامة.

التمهيد

المحور الأول: المراد بالسياق

السياق في اللغة:

جاء في المعجم الوسيط: «السِّيَاق: الْمهْر، وَسِيَاق الْكَلَام: تتابعه وأسلوبه الَّذِي يجْرِي عَلَيْهِ. يُقَال: هُوَ فِي السِّيَاق: الاحتضار والنزع».

وفي الاصطلاح: «الأجزاء التي تسبق النص أو تليه مباشرةً، ويتحدد من خلالها المعنى المقصود»[١].

ويبنى عليه وضوح دلالة الألفاظ، وتحديد معناها؛ لأن فيه قرائن تعين على ذلك، ولارتباطه بمقام معين يحدد في ضوء القرائن الحالية[٢].

وتكمن دلالة السياق في أنها ترشد إلى تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم.

انظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[٣] كيف نجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير[٤].

المحور الثاني: التعريف بـ "القلب المطمئن"

أولًا: المراد بـــ «القلب»:

تعددت الآراء حول المراد بالقلب، ودارت كلها حول كونه محل المشاعر والأحاسيس وموطن العقائد.

---

(١) معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، علية عزة عياد/٨٣ /١٩٨٤، الرياض.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، الدكتور تمام حسان، القاهرة /٣٢٠/ ٢٠٠٤م.

(٣) الدخان: ٤٩.

(٤) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، تقديم وتعليق مصطفى عبد القادر/ ٢/٢١٨/٢٠٠٥م، دمشق.

قَالَ اللَّيْث: «القَلْب: مضغةٌ مِن الْفُؤَاد معلَّقة بالنِّياط»[٥].

وفي المعجم الوسيط: «الْقلب: عُضْو عضلي أجوف يسْتَقْبل الدَّم من الأوردة ويدفعه فِي الشرايين قَاعِدَته إِلَى أَعلَى معلقَة بنياط فِي الْجِهَة الْيُسْرَى من التجويف الصدري، وَبِه تجويفان يساري بِهِ الدَّم الْأَحْمَر، ويميني بِهِ الدَّم الْأَزْرَق الْمُحْتَاج إِلَى التنقية، وَبكُل تجويف تجويفان فرعيان، يفصل بَينهمَا صمام، وَيُسمى التجويف الْعلوِي الأذين، والتجويف السفلي البطين، وَقد يعبر بِالْقَلْب عَن الْعقل»[٦].

فـ «الْقُلُوبُ»: جَمْعُ قَلْب، وَهُوَ يُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى الْمُضْغَةِ الصَّنَوْبَرِيَّةِ الشَّكْلِ الَّتِي فِي الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ مِنْ جَسَدِ الْإِنْسَانِ، إِذَا كَانَ مَوْضُوعُ الْكَلَامِ جَسَدَ الْإِنْسَانِ، وَيُطْلَقُ عِنْدَ الْكَلَامِ فِي نَفْسِ الْإِنْسَانِ وَإِدْرَاكِهِ وَعِلْمِهِ وَشُعُورِهِ وَتَأْثِيرِ ذَلِكَ فِي أَعْمَالِهِ، عَلَى الصِّفَةِ النَّفْسِيَّةِ، وَاللَّطِيفَةِ الرُّوحِيَّةِ، الَّتِي هِيَ مَحَلُّ الْحُكْمِ فِي أَنْوَاعِ الْمُدْرَكَاتِ، وَالشُّعُورُ الْوِجْدَانِيُّ لِلْمُؤْلِمَاتِ وَالْمُلَائِمَاتِ، أَعْنِي أَنَّهُ يُطْلَقُ بِمَعْنَى الْعَقْلِ، وَبِمَعْنَى الْوِجْدَانِ الرُّوحِيِّ، الَّذِي يُعَبَّرُ عَنْهُ فِي عُرْفِ هَذَا الْعَصْرِ بِالضَّمِيرِ، وَهُوَ تَعْبِيرٌ صَحِيحٌ، وَاشْتِقَاقُ الْعَقْلِ مِنْ عَقْلِ الْبَعِيرِ؛ لِمَنْعِهِ مِنَ السَّيْرِ.

---

[٥] تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، (١٤٣/٩)، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.

[٦] المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) (٧٥٣/٢) الناشر: دار الدعوة.

وَفِي مَعْنَى الْقَلْب: اللُّبُّ الَّذِي هُوَ جَوْهَرُ الشَّيْءِ وَيَكْثُرُ فِي التَّنْزِيلِ، وَمِنْهُ: النُّهْيَةُ وَجَمْعُهَا: نُهًى، وَمِنْهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ طه (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى) (طه: ١٢٨)[٧].

والقلب: محل الحياة والعقل والعلم، فلو زالت هذه الصفات من هذه الأعضاء اختل أمر الإنسان، وبطلت مصالحه في الدنيا وفي الدين[٨].

ثانيًا: المراد بـ «المطمئن».

الطمأنينة في اللغة: من الفعل «طمن»، قال الخليل: «اطْمأَنّ الرّجل، واطمأنّ قَلْبُهُ، واطمأَنَّتْ نَفْسُه إذا سكَنَ واستأنس، والمُطْمَئِنُّ من الأرض، أرضٌ مُنْخَفِضة، وهي: المُطَمئِنة»[٩].

وقال الزمخشري: «إن الطمأنينة من (اطمأن بالمكان، ووتد الله الأرض بالجبال فاطمأنت، ومن المجاز: في فلان وقار وطمأنينة، واطمأن قلبه على الإيمان ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ وهو آمن مطمئن، ورأيته قلقًا فرقًا

---

[٧] تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن علي خليفة الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ، /٩/ ٣٥١، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م.

[٨] التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن بكر بن الحسن التميمي الرازي (ت ٦٠٦هـ)/١٢/٢٢٧. ط دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانية، د.ت.

[٩] كتاب العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، (٤٤٢/٧)، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

فطمأنت منه حتى اطمأن وتطمأن واطمأن إليه: سكن إليه ووثق به، واطمأن به القرار، واطمأن جالسًا»[١٠].

وفي الاصطلاح: «الطُّمَأْنِينَةُ: سُكُونٌ يُقَوِّيهِ أَمْنٌ صَحِيحٌ، شَبِيهٌ بِالْعِيَانِ»[١١].

يقول الفيروزآبادي: «المطمئنّ: السّاكن، واطمأنَّ اطمئنانًا وطُمَأْنينة وطَمْأَن ظَهْرَه: طمأنه».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الفجر: ٢٧) هي أَلاَّ تصير أَمّارة بالسّوءِ، وقال: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (الرعد: ٢٨).

والطُّمَأْنِينة أَعمّ من السكينة، وهي سكون أَمْن فيه استراحة أُنس، وهى أعلى درجات طُمَأْنينة القلب بذكر الله، وهى طمأْنينة الخائف إِلى الرّجاء، والضجِر إِلى الحكم، والمبتلَى إِلى المثوبة»[١٢].

وقال ابن قيم الجوزية: «الطمأنينة: سكون القلب إلى الشيء، وعدم اضطرابه وقلقه، ومنه الأثر المعروف «الصدق طمأنينة، والكذب ريبة» أي الصدق

---

[١٠] أساس البلاغة المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، (٦١٤/١) الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

[١١] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ج٤٨١/٢، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت.

[١٢] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) المحقق: محمد علي النجار (٥١٧/٣) الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

يطمئن إليه قلب السامع، ويجد عنده سكونًا إليه، والكذب يوجب اضطرابًا وارتيابًا، ومنه قوله صلّى الله عليه وسلّم: «البر ما اطمأن إليه القلب»[١٣].

[١٣] تفسير القرآن الكريم (ابن القيم) المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان (٣٣٦/١) الطبعة: الأولى - ١٤١٠ هـ، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت.

المحور الثالث : مواطن الدراسة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ (البقرة: ٢٦٠).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ (آل عمران: ١٢٦).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ (المائدة: ١١٣).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (الأنفال: ١٠).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الرعد: ٢٨).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (النحل: ١٠٦).

المبحث الأول: سياقات إفراد القلب المطمئن وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم

(الآية الأولى)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ (البقرة: ٢٦٠).

«(أرِني): بصرني، فإن قلت: كيف قال له أَوَلَمْ تُؤْمِنْ وقد علم أنه أثبت الناس إيمانا؟، قلت: ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين، و(بَلَى) إيجاب لما بعد النفي، فإن قلت: بم تعلقت اللام في: (لِيَطْمَئِنَّ)؟ قلت: بمحذوف تقديره، ولكن سألت ذلك إرادة طمأنينة القلب فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ قيل: طاووسًا، وديكًا، وغرابًا، وحمامة، (فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) بضم الصاد وكسرها بمعنى: فأملهنّ واضممهنّ إليك؛ ليتأملها ويعرف أشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الإحياء ولا يتوهم أنها غير تلك».[١٤]

وقوله: ﴿ولكن﴾ سألت ما سألت ﴿ليطمئن قلبي﴾ ازداد بصيرة بمشاهدته على كيفية معينة[١٥].

---

[١٤] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) (١/٣٠٨-٣١٠) الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت.

[١٥] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) (١/٢٥٦) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

﴿ولكن﴾ أريد المعاينة ﴿ليطمئن﴾ من الطمأنينة وهي الهدوء والسكون على سواء الخلقة واعتدال الخلق ﴿قلبي﴾ من فطر على نيل شيء جبل على الشوق له، فلما كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام متهيئًا لقبول الطمأنينة قذف في قلبه طلبها[١٦].

* بدأ سيدنا إبراهيم ــ عليه السلام ــ سؤاله بمناداة ربه فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ﴾ ، فتأمل مجيئه بالفعل الماضي (قال)، وتكراره الذي دل على إصراره في طلب الرؤية، والذي استمر إلى زمن المضارع، ووضح ذلك من خلال جملة الحال والاستقبال معًا؛ لاستحضار الصورة الجميلة التي عليها إعادة الإحياء واطمئنانه بالمشاهدة.

وما أفاده الفعل المضارع من التجدد والحدوث في قوله: (تحيي – تؤمن – تطمئن)، وهذه الأفعال تدور حول كيفية الإحياء وكيفية تأثيره على نفس سيدنا إبراهيم – عليه السلام– واطمئنان قلبه به، فالرؤية هنا رؤية العين لا رؤية القلب.

وحذف أداة النداء في قوله: (رب) حتى لا يجعل بينه وبين الله واسطة، وأيضًا لشعوره بالقرب من ربه، وجيء بالنداء؛ لغرض الاستعطاف والثناء على الله أي: (يا رب) أرنى كيفية إحياء الموتى.

---

[١٦] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) (٤/٦٢-٦٨)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

وقوله: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ هي خبر ورد عقب النداء والأمر في قوله: (أرني) المراد به الرجاء، رجاء راحة قلبه واطمئنانه، وأيضًا لحب تعلمه كيفية الإحياء، وهذه من خصائص النبوة.

وتأمل التعبير بالاستفهام في قوله: (أَوَلَم) والذي قصد به التنبيه والإرشاد، وأكد الخبر بـــ (اللام)، وهي إما لام (التعليل) أي: ولكن سألتك لاطمئنان قلبي، أو (لام) (الأمر) للدعاء لقلبه بالطمأنينة، وذلك لتنزيله منزلة من يطلب الوقوف على الأمر لا من ينكره؛ لأن سيدنا إبراهيم – عليه السلام – لا ينكر أو يشكك في قدرة المولى –عز وجل – على إحياء الموتى، ولكن طلبه كان من باب المعاينة والرؤية؛ ليطمئن قلبه بكيفية الإحياء.

(وَلكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) أي: يسكن قلبي إلى المعاينة والمشاهدة[١٧].

فـــ (طمأنينة القلب) المراد بها: هدوؤه وسكونه، واستعيرت في هذا الموضع للسكون، أي: سكون النفس وتهدئتها بالمعاينة.

ثم توالت أفعال الأمر، والتي قصد بها التوجيه والإرشاد في آخر الآية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ البقرة: (٢٦٠).

قال المفسرون: أمره الله تعالى أن يذبح تلك الطيور، وينتف ريشها، ويقطعها، ويفرق أجزاءها، ويخلط ريشها، ودماءها، ولحومها بعضها ببعض، ثم يجزئهن أربعة أجزاء على أربعة أجبل، ففعل[١٨].

---

[١٧] الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبـــو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـــ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعـــة وتـــدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ج٢،٢٥٣، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـــ – ٢٠٠٢ م، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

وهذا ما عبر عنه بالاستعارة التصريحية التبعية في قوله: (فَصُرْهُنَّ)، وقد جرت الاستعارة التصريحية التبعية في فعل الأمر، حيث استعار (فَصُرْهُنَّ)، حيث إنها من الصُّوَارِ وهو: القطيع من البقر[١٩] اعتبارًا بالقطع، وهي استعارة لطيفة أضفت الخيال البديع على المعنى، وألبسته أسلوبًا جديدًا فاق جمالًا أي أسلوبٍ تعبيري آخر.

وفي هذا الصدد يقول الإمام عبد القاهر (ت٤٧١هـ) عن الاستعارة: «إنها أمد ميدانًا، وأشد افتتانًا وأكثر جريانًا، وأسحر سحرًا، ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز البيان في صورة مستجدة، وتزيد قدره نبلًا»[٢٠].

وزاد الاستعارات جمالًا مصاحبتها للأسلوب الإنشائي الذي قصد منه التوجيه والإرشاد للسائل الممتثل لأوامر المولى – عز وجل-.

كما جاء في هذه الآية إيجاز بالحذف، وهو حذف بقية القصة؛ إذ أصدر المولى –عز وجل- أوامره، ولم يتعرض لامتثال سيدنا إبراهيم –عليه السلام- لها؛ لأن ذلك مدرك بالعقل.

---

[١٨] الوسيط في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد= الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي/١/٣٧٥، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

[١٩] لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) /٤/٤٧٥ الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، الناشر: دار صادر – بيروت.

[٢٠] أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني محمود محمد شاكر ص ٤٢ ط١، ١٩٩١م مطبعة المدني.

ثم ختم الآية بضرب من أضرب الخبر وهو الضرب الإنكاري وإن كان سيدنا إبراهيم – عليه السلام لا ينكر ذلك، فقال: ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فأكد كلامه بـــ (إن واسمية الجملة)، وصاغ صفتي العزة والحكمة في صيغة النعت، وجعلهما في هذه الآية في صيغة الخبر المؤكد، إذ قال: ﴿أن الله عزيز حكيم﴾ فنزل المخاطب منزلة من ينكر في أنه تعالى موصوف بهاتين الصفتين: وهما العزة والحكمة، أي: إن الله عَزِيزٌ غالب لا يعجزه شيء، حَكِيم في صنعه وتدبيره.

–وسياق الآية التي هي محل البحث ورد في كيفية اطمئنان القلب بالرؤية والمشاهدة لكيفية الإحياء، وسياق الحديث في الآية التي قبلها هو: التشويق إلى كيفية عمارة القرية الخاوية على عروشها، كما تضمن الاستفهام الاعتراف بعدم معرفة كيفية الإحياء بعد الموت، أو عن كيفية الإعادة إلى ما كانت عليه قبل الخراب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾، وعبر عن العمارة بالإحياء على سبيل الاستعارة التصريحية تأكيدًا للتشويق.

كما عبر بالاستعارة التصريحية عن خرابها بالموت في قوله تعالى: ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ وهذا ما وضح من الطباق بين قوله: (يُحيى، مَوْتِهَا) أي: كيف يعاد إليها العمران بعد الخراب؟

وهذه القصة جاءت دليلًا على قدرة المولى – عز وجل – على صحة البعث والنشور؛ لذا جاءت الآية محل البحث تؤكد هذا المعنى حين طلب سيدنا

إبراهيم – عليه السلام – من ربه أن يريه كيفية الإحياء وليس ذلك من قبيل الشك المنافي للإيمان، وإنما من قبيل اطمئنان القلب وسكون النفس الذي يزداد به الإيمان ويكمل به اليقين.

وبعد فاطمئنان القلب في الآية الكريمة دل على أن الإيمان واليقين قابلان للزيادة والنقص، وإن كان قصد سيدنا إبراهيم –عليه السلام– هو أن يطمئن قلبه بأن الله قد اتخذه خليلًا كما وعده.

وبعد أن انتهيت من بيان آية سورة البقرة أنتقل إلى بيان آية سورة النحل التي جاءت على نفس سياق الصورة التي توضح سياقات إفراد القلب المطمئن.

****

(الآية الثانية)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ﴾ النحل: ١٠٦

نزل قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ ﴾ في عمار بن ياسر – رضي الله عنه – أخذه المشركون، وأكرهوه على سب النبي –صلى الله عليه وسلم– فطاوعهم في بعض القول، ثم جاء إلى النبي، فقال له النبي: «ما وراءك؟ قال: شر يا رسول الله، لم يتركني الكفار حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير، فقال: وكيف وجدت قلبك؟ قال: مطمئنًّا بالإيمان، فقال: إن عادوا فعد؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية».

وتقدير الآية: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه فعليهم غضب من الله ولهم عذاب أليم إلا من أكره، وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ فحكمه ما بينا. وقوله: ﴿شرح﴾ أي: فتح قلبه لقبول الكفر[٢١].

المفهوم من الوجود أن الذين لا يهديهم الله لا يؤمنون بآياته، ولكنه قدم في هذا الترتيب وأخر، تهممًا بتقبيح فعلهم والتشنيع لخطابهم[٢٢].

السياق في الآية يحدد العلاقة بين الطمأنينة والأمن من الخوف، فبعد أن عظّم الله – تعالى– تهديد الكافرين الذين تقولوا الأقاويل على النبي– صلّى الله عليه وسلّم–، فوصفوه بأنه مفتر، وأن ما جاء به هو من كلام البشر لا من عند الله، أردف ذلك ببيان من يكفر بلسانه لا بقلبه بسبب الخوف والإكراه، ومن يكفر بلسانه وقلبه معًا. ثم ذكر بعده حال من هاجر بعد ما فتن، وهم المستضعفون في مكة[٢٣].

– وعبر بـــ (مَنْ) وهي: اسم شرط جازم مقترنة بالفعل الماضي (كَفَرَ) الذي أفاد تحقق حدوث الكفر بالله، ثم يستثني من ذلك بأداة الاستثناء(إِلَّا) استثناء متصل من أكره على الكفر بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان، ووافق الكفار بلفظ من أكره.

وعبر باسم الموصول(مَنْ)، أي: من أكره على الكفر بالله بعد الإيمان وكفر بلسانه وقلبه مطمئنٌّ بالإيمان لم تتغير عقيدتُه، فعبر عن ذلك بـــ الفعل

---

(٢١) تفسير السمعاني (٢٠٤/٣).

(٢٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد (٤٢٤/٣) الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢٣) التفسير المنير للزحيلي /٢٤٢/١٤.

الماضي (أُكْرِهَ) الذي يفيد تحقق وقوع الفعل وهو الإكراه على الكفر والتلفظ به خوفًا من الهلاك وقلبه ثابت على الإيمان.

فـ(الاطمئنان) المراد به السكون والثبات على الإيمان بعد الإكراه على الكفر، واستعير هنا للثبات، فالقلوب تطمئن بالإيمان وبالثبات عليه.

وذكر لفظ (الْقَلْب) من قبيل المجاز المرسل لعلاقة المحلية، فقد عَبَّر بالمحل وهو(القلب) وأراد الحال فيه وهو الإيمان والثبات والاستقرار، وعدم التقلب والخوف والترحال، وتبين من خلال المجاز المرسل الرخصة التي منحها الله لعباده حين إكراههم على الكفر، في إظهارهم الكفر بالقول دون أن يتغير في الاعتقاد.

ففي المجاز المرسل «تكاد المبالغة تكون غاية أساسية يسعى إلى تحقيقها»[٢٤].

ثم ختم الآية بالحديث عمن اتسع وانشرح صدره بالكفر واطمأن به؛ فعبر بـ (مَنْ) الموصولة، فأفادت العموم بلفظها مجردة دون قرينة تضم إليها؛ لأن الكفر يعم القول والنية كالإيمان، ثم قدم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ للاختصاص في قوله: (عليهم، لهم) أي: اختصاصهم بعذاب جهنم والطرد من رحمة الله دون غيرهم.

- السياق في الآية يحدد العلاقة بين الطمأنينة والأمن من الخوف، وسياق الحديث في الآية التي قبلها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾، يفيد تجدد انتفاء الإيمان من المعاندين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، المستمرين في تكذيبهم لما جاء به من البينات،

---

[٢٤] رؤى في البلاغة العربية دراسة تطبيقية لمباحث علم البيان د أحمد محمود المصري، ص١٨٨، ط١، ٢٠٠٨م دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

وهذا ما أفاده التعبير بالمضارع (يَفْتَرِي) الَّذِي يفيد التَّجَدُّدَ، وتعريف المسند إليه بالْإِشارة (وَأُولَئِكَ)، والقصر بضمير الفصل(هُمُ الْكَاذِبُونَ) دل على اختصاصهم بالكذب وثبوتهم عليه، والتعبير باسم الفاعل في قوله: (الْكَاذِبُونَ).

وعقبها بالآية التي هي محل البحث بالحديث عن العلاقة بين الكفر والإكراه عليه، فالكفر إما باللسان وإما بالقلب، واستثنى منه من نطق به وقلبه مطمئن بالإيمان في حالة إكراهه على ذلك، «وَالْمُكْرَهُونَ عَلَى الْكُفْرِ الْمُعَذَّبُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ: خَبَّابٌ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَعَمَّارٌ، وَأَبَوَاهُ يَاسِرٌ وَسُمَيَّةُ، وَسَالِمٌ، وَحَبْرٌ، عُذِّبُوا فَأَجَابَهُمْ عَمَّارٌ وَحَبْرٌ بِاللَّفْظِ فَخُلِّيَ سَبِيلُهُمَا، وَتَمَادَى الْبَاقُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَقُتِلَ يَاسِرٌ وَسُمَيَّةُ، وَهُمَا أَوَّلُ قَتِيلٍ فِي الْإِسْلَامِ، وَعُذِّبَ بِلَالٌ وَهُوَ يَقُولُ: (أَحَدٌ أَحَدٌ) وَعُذِّبَ خَبَّابٌ بِالنَّارِ فَمَا أَطْفَأَهَا إِلَّا وَدَكُ ظَهْرِهِ»[٢٥].

لذا استثنى المولى – عز وجل – من هؤلاء المعاندين الكافرين من أكره على الكفر خوفًا من الهلاك، وقلبه مطمئن بالإيمان فجاءت الآية لتبثّ في قلوبهم الأمن بعد الخوف مما ارتكبوه بسبب إكراههم على ذلك، ثم ختم الآية بالحديث عن الكفرة المطمئن قلبهم بالكفر بأن عليهم غضب شديد من الله ولهم عذاب عظيم في الآخرة؛ وذلك بسبب إيثارهم وتفضيلهم للدنيا الفانية على الآخرة الباقية؛ فلذلك لم يهدهم الله ولم يثبتهم على الدين الحق في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾.

---

[٢٥] البحر المحيط في التفسير (٦/٥٩٩).

وبعد أن وقفت على الآية الكريمة وقمت بتفسيرها وتحليلها، خلصت منها إلى أن من أكره على النطق بكلمة الكفر فتلفظ به وقلبه مطمئن بالإيمان لم تتغير عقيدته، فهو ثابت على ما كان عليه، كما بينت الآية الكريمة أن الإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل، وأن من اتسع صدرهم بالكفر وطابت له نفوسهم فعليهم غضب من الله، وهذا وعيد شديد، فالغضب أشد من الطرد من رحمة الله؛ لأنهم آثروا الحياة الدنيا وقدموها على الآخرة التي هي خير وأبقى.

وبعد أن انتهيت من سياقات إفراد القلب المطمئن، أنتقل إلى سياقات جمع القلب المطمئن، وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم.

المبحث الثاني : سياقات جمع القلب المطمئن، وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم

اقتران طمأنينة القلب بالبشرى

في آيتي سورة آل عمران وسورة الأنفال

(الآية الأولى)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ (آل عمران: ١٢٦).

«وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ الهاء لأن يمدكم أي: وما جعل اللَّه إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بأنكم تُنصرون ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ كما كانت السكينة لبنى إسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم (وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لا من عند المقاتلة إذا تكاثروا، ولا من عند الملائكة والسكينة، ولكن ذلك مما يقوى به اللَّه رجاء النصرة والطمع في الرحمة، ويربط به على قلوب المجاهدين الْعَزِيزِ الذي لا يغالب في حكمه الْحَكِيمِ الذي يعطى النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة»[٢٦].

ومعنى الآية: وما كان هذا الإمداد إلا لتستبشروا به، وتطمئن به قلوبكم.

---

[٢٦] الكشاف (١/٤١٢).

وقال أيضًا: «في ذكر الإمداد مطلوبان، أحدهما: إدخال السرور في قلوبهم، وهو المراد بقوله: إلا بشرى، والثاني: حصول الطمأنينة بالنصر، فلا تجبنوا، وهذا هو المقصود الأصلي»[٢٧].

(الآية الثانية)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (الأنفال: ١٠).

«أي: ما جعل جوابكم بهذا الكلام إلا ليبشركم، وإلا فقد كان يكفيكم أن يضمن لكم النصر دون أن يبين أنه بإمداد من الملائكة، فالنصر معنى من المعاني يدق إدراكه وسكون النفس لتصوره، بخلاف الصور المحسوسة من تصوير مدد الملائكة ورؤية أشكال بعضهم»[٢٨].

- الإمداد الفعلي بالملائكة للمؤمنين يقاتلون معهم: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ ﴿وَما جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾.

ويُفْهم من هذين الحكمين أن أحكام الله معللة بمراعاة مصالح الناس.

- النّصر الحقيقي من عند الله تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾.

- تعليم المؤمنين قواعد القتال الحربية، وخطابهم لترسيخ المعلومات[٢٩].

---

[٢٧] البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل (٣/٣٣٥-٣٣٦) الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

[٢٨] التحرير والتنوير (٩/٢٧٧).

[٢٩] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: د وهبة بن مصطفى الزحيلي (٩/٢٣٨) الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق

- ويتوالى أسلوب القصر بالنفي والاستثناء في الآيتين المتعانق مع التشبيه التمثيلي في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ).

ثم مجيء القصر بطريق التقديم في سورة الأنفال في قوله: (وَلِتَطْمَئِنَّ به قُلُوبُكُمْ)، وذلك من بديع النظم القرآني، فالمقام فيها مقام الانتصار والإمداد بالملائكة؛ لذا قدم (بِهِ) على القلوب، فدلالة التقديم على القصر دلالة ذوقية.

«ولا بد فيه من تناسق الدلالات الفنية للكلمات، وحسن رصفها، وقوة إيحائها، حتى يستطيع بذلك أن يوقع اللفظ المقدم موقعًا حسنًا مفيدًا للقصر، فينشر رواءه على ما حوله، ويكسب الأسلوب إيجازًا، ويتم به التناسق الفني للأسلوب الأدبي»[٣٠].

ولما كان المقام في سورة آل عمران هو الطمأنينة وتسكين القلوب قدمها على الإمداد، فقال: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ وزاد كلمة (لَكُمْ) فقال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ﴾ زيادة لمواساتهم وطمأنينة لقلوبهم، وأتى بالمضارع (وَلِتَطْمَئِنَّ)؛ لاستحضار الصورة في الذهن.

فبيَّنَ من خلال القصر والتشبيه التمثيلي في قوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ﴾ أن إمداد الله لهم بالملائكة كان بشرى لهم وطمأنينة به لقلوبهم، ولما لا وهو من عند المولى - عز وجل -، فكان المراد منه هو حصول الطمأنينة لهم، وإدخال السرور على قلوبهم بعد أن أحاط بهم الهلاك فاستوجب الموقف أن يبشرهم الله بالنصر.

ويتضح الاختلاف في ترتيب نظم الآيتين وذلك في ثلاثة أمور:

---

[٣٠] بلاغة القصر دراسة نقدية تحليلية د/ عبد العزيز أبو سريع/١٥٦، ط١، ١٩٨٦ م مطبعة السعادة القاهرة.

أحدها: «أنه قال في سورة آل عمران (١٢٦): (إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ) وحذف (لَكُمْ) هنا لعدم التكرار؛ لورود كلمة (لكم) في قوله: (فَاسْتَجَابَ لَكُمْ) (الأنفال: ٩) فثبت أن البشرى لهم، فأغنى ذكر الأولى عن ذكر الثانية.

ــ وآية آل عمران جاءت في مقام الامتنان والتذكير بنعمة النصر بالرغم من قلتهم وضعفهم، أي: جعل الله ذلك بشرى لأجلكم.

ــ وأما آية الأنفال: فهي جاءت في مقام العتاب على كراهية الخروج إلى بدر في أول الأمر، وعلى اختيار أن تكون الطائفة التي تلاقيهم غير ذات الشوكة، فجرد (بشرى) عن أن يعلق به لكم.

ثانيها: تقديم المجرور في آية الأنفال: (بِهِ قُلُوبُكُمْ) وهو يفيد الاختصاص، فيكون المعنى: (ولتطمئن به قلوبكم لا بغيره)، وفي هذا الاختصاص تعريض بما اعتراهم من الخوف من الطائفة ذات الشوكة.

وقدم القلب على الجار والمجرور في آل عمران فقال: (وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ) وأخّرها عنه في الأنفال فقال (وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ) علمًا بأن الكلام على معركة بدر في الموطنين غير أن الموقف مختلف، ففي آل عمران ذكر معركة بدر تمهيدًا لذكر موقعة أحد وما أصابهم فيها من قرح وحزن والمقام مقام مسح على القلوب وطمأنة لها ومن قبيل المواساة والتبشير والطمأنينة»[٣١].

ثالثها: أنه قال في سورة آل عمران (١٢٦) (الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فصاغ الصفتين العليتين في صيغة النعت، وجعلهما في هذه الآية في صيغة الخبر المؤكد، إذ قال: (إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) فنزل المخاطبين منزلة من ينكر في أنه –تعالى–

---

[٣١] الكتاب: لمسات بيانية، المؤلف: فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي /١/ ٥٠٣.

موصوف بهاتين الصفتين: وهما العزة المقتضية أنه إذا وعد بالنصر لم يعجزه شيء، والحكمة، فيما يصدر من جانبه، فكيف لا يهتدون إلى أن الله لما وعدهم الظفر بإحدى الطائفتين وقد فاتتهم العير أن ذلك آيل إلى الوعد بالظفر بالنفير.

وجملة: (إن الله عزيز حكيم) مستأنفة استئنافًا ابتدائيًا جعلت كالإخبار بما ليس بمعلوم لهم[٣٢].

ولما كان الغرض الأسمى بالنسبة لهم هو الاطمئنان أدخل لام التعليل على قوله: (وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ)، و(طمأنينة القلب) المراد بها سكونه، واستعيرت في الموضعين لليقين، أي يقين النفس بحصول النصر.

وذكر لفظ (الاطمئنان) للمسارعة بالبشارة حتى لا تضعف نفوسهم وتحزن قلوبهم، فـ (القلوب) هي محل الفرح والحزن والغم، ولِمَ لا وقد كان توكلهم على المولى – عز وجل – العزيز الذي لا يغلب.

وتنكير(قُلُوبُكُمْ) في الموضعين يحمل على تعظيم قلوب المجاهدين أو كثرتها.

-السياق في الآيتين تقترن فيه طمأنينة القلب بالبشرى، وسياق الحديث في الآية التي قبلها وبعدها في السورتين عن غزوة بدر وكيف نصرهم الله على أعدائهم مع قلة عددهم بإمداده لهم بالملائكة كبشرى بالنصر، وليست هي السبب الحقيقي بل لا بد من اطمئنان القلب؛ لأن النصر الحقيقي هو إرادة الله لهم بالنصر، وكان نصر الله لهم بإهلاك فريق من الكفار وإلحاق ما تبقى منهم بالخزي كما ورد في سورة آل عمران قال تعالى: (لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ) وأتى بصيغة المضارع لحكاية الماضي بطريق

---

[٣٢] التحرير والتنوير (٢٧٧/٩).

استحضار الصورة في الذهن وتجدد إهلاك طرف من الكافرين أو كبتهم بالهزيمة.

وكان النصر لهم في سورة الأنفال بغشيهم بالنعاس أمانًا لهم من الخوف من غلبة عدوهم لهم، كما أنزل الله عليهم مطرًا من السماء؛ ليطهرهم به من الحدث ووسوسة الشيطان، وربط على قلوبهم بالصبر والإقدام على محاربة الأعداء وثبت أقدامهم بأن أمنهم من الخوف، قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ (الأنفال: ١١).

وأتى بصيغة المضارع في قوله: ﴿يُغَشِّيكُمُ، وَيُنَزِّلُ، ويُطَهِّرَكُمْ، وَيُذْهِبَ، وَلِيَرْبِطَ، وَيُثَبِّتَ﴾ ولم يأت بصيغة الماضي لاستحضار الصورة في الذهن، وتجدد هذه الأفعال من المولى – عز وجل– على المحاربين.

كما قدم الجار والمجرور في قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ ماءً﴾ على المفعول به، للاهتمام بالمقدم وهم المحاربين، والتشويق إلى المؤخر وهو الماء.

–تبين من خلال التفسير والتحليل للآيتين الكريمتين أن إمداد الله لهم بالملائكة كان بشرى لتطمئن قلوبهم وليس هو السبب الحقيقي للنصر، وذلك لعلم المولى – عز وجل – بحالهم واستغاثتهم فأغاثهم وأمدهم بالملائكة فكان في هذا الإمداد طمأنينة لقلوبهم، ثم بين لهم أن النصر الحقيقي هو مشيئة الله لهم بالنصر، كما يقصد من الآيتين رسوخ الاعتماد على الله في قلوب المؤمنين ونفوسهم، كما يجب عليهم الأخذ بالأسباب كوسيلة لتحقيق أهدافهم.

وبعد أن انتهيت من بيان أسباب النصر الحقيقي للمؤمنين، وهو مشيئة المولى –عز وجل– أنتقل إلى اطمئنان قلوب الحواريين بمشاهدة المعجزة،

وهي إنزال المائدة بطلب عيسى -عليه السّلام- علامة على قدرة الله وتصديق الناس بنبوّته.

(الآية الثالثة)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ (المائدة: ١١٣).

«قال الحواريون: وتطمئن قلوبنا، أي: بمشاهدة هذه المعجزة فإن الدليل الحسي أظهر في النفس، ونعلم أن قد صدقتنا، ونكون عليها من الشاهدين، أي: من الشاهدين على رؤية هذه المعجزة فنبلغها من لم يشهدها، فهذه أربع فوائد لسؤال إنزال المائدة، كلها درجات من الفضل الذي يرغب فيه أمثالهم، وتقديم الجار والمجرور في قوله: (عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ) للرعاية على الفاصلة»[٣٣].

قال عيسى ابن مريم: ﴿اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين﴾ (المائدة: ١١٤).

وتأمل في هذا الترتيب؛ فإن الحواريين لما سألوا المائدة ذكروا في طلبها أغراضًا، فقدموا ذكر الأكل فـ (قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا) (المائدة: ١١٣) وأخروا الأغراض الدينية، فأما عيسى لما طلب المائدة وذكر أغراضه فيها قدم الأغراض الدينية، وأخر غرض الأكل حيث قال وارزقنا، ثم قال: (وأنت خير الرازقين) وهو عروج مرة أخرى من الخلق إلى الخالق ومن غير الله إلى

---

(٣٣) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) (١٠٧/٧) الناشر: الدار التونسية للنشر - سنه النشر: ١٩٨٤ م.

الله، وعند ذلك تلوح لك شمة من كيفية عروج الأرواح المشرقة النورانية الإلهية ونزولها اللهم اجعلنا من أهله[٣٤].

*تأمل بديع النظم القرآني في توالي الأفعال في الآية الكريمة التي تقص قصة المائدة التي لا يعرفها النصارى إلا من القرآن.

«وهي نعمة تاسعة ومعجزة بعد النّعم الثماني المتقدّمة، إذ تمّ إنزال المائدة بطلب عيسى عليه السّلام، علامة على قدرة الله وتصديق الناس بنبوّته، وهي مما امتنّ الله به على عبده ورسوله عيسى لما أجاب دعاءه بنزولها»[٣٥].

حيث بدأت الآية بالفعل الماضي (قالوا) الدال على تحقق قولهم وبيان الغرض من سؤالهم لنزول المائدة وهو طلبهم للأكل، ثم توالى الفعل المضارع في قوله: (نَأْكُلَ وَتَطْمَئِنَّ وَنَعْلَمَ وَنَكُونَ) الذي يفيد استمرارية أكلهم واطمئنان قلوبهم واستمرار تصديقهم، فالأكل بالنسبة لهم كان تمهيدًا لهدوء القلب وسكونه، وازدياد يقينه واطمئنانه بالمشاهدة: (وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا).

وطمأنينة القلب المراد بها سكونه، واستعيرت في هذا الموضع لازدياد اليقين، أي يقين النفس بالمشاهدة والمعاينة.

فبالمشاهدة يزداد تجدد اطمئنان القلب باستمرار، لذا عبر عنه بالفعل المضارع (وَتَطْمَئِنَّ) فباطمئنان القلب واستقراره تستقر الأمور كما تستقر نفس الحواريين.

---

[٣٤] مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) (٤٦٤/١٢) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

[٣٥] التفسير المنير ج١١٥/٧.

*ومن بديع النظم القرآني تقديم الجار والمجرور(عَلَيْهَا) في قوله تعالى: ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ وكان حقه التأخير فيقال: (ونكون من الشاهدين عليها)، وذلك مراعاة للتناغم الصوتي للفواصل، فالآيات قبلها وبعدها منتهية بحرف(النون) فناسب هنا تقديم ما حقه التأخير ويقول الإمام عبد القاهر عن التقديم والتأخير: « هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لايزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان»[٣٦].

ولا يخفى ما للتعبير باسم الفاعل في قوله تعالى: (ٱلشَّٰهِدِينَ) من أثر قوي في ثبوت ودوام شهادتهم أنها آية من عند الله.

- السياق في الآية التي هي محل البحث يقترن فيه طمأنينة القلب بإنزال المائدة من السماء لغرض الأكل، وفي الآية التي قبلها كان سياق الحديث بين سيدنا عيسى ــ عليه السلام ــ والحواريين حين سألوه عن قدرة المولى - عز وجل- في إنزال مائدة طعام عليهم من السماء، وما كان منه إلا أن أمرهم بأن يتقوا عذاب الله إن كانوا مؤمنين بقدرته على ذلك، كما في قوله تعالى: (إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (المائدة: ١١٢).

فردوا عليه في الآية التي هي محل البحث بذكر العلة من سؤالهم، وهي الاطمئنان بالأكل منها ﴿نريد أن نأكل منها﴾ أي: أن السؤال لم يكن للشك في قدرته سبحانه على تنزيلها أو في صحة نبوته وإنما كان أكل تبرك، وتصديق

---

[٣٦] دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ــ ت ــ محمود محمد شاكر/١٠٦ ــ ط٣، ١٤٣١هـ ــ ١٩٩٢م ــ دار المدني بجدة.

لنبوته ويشهدوا بها عند من لم يروها؛ ليزدادوا إيمانًا واطمئنانًا بشهادتهم، وما كان من سيدنا عيسى ــ عليه السلام ــ بعد سماع غرضهم من طلب نزول المائدة إلا أن أجاب طلبهم، ودعا ربه بإنزال المائدة لتكون دليلًا على إجابة دعوته وأن يرزقه الشكر عليها فهو سبحانه خير الرازقين وذلك بتوالي أفعال الأمر التي خرجت إلى معنى مجازي أريد به الدعاء والتضرع للمولى عز وجل، قال تعالى: (قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (المائدة: ١١٤) .

وبعد أن انتهيت من بيان تأييد المولى –عز وجل – لنبيه عيسى –عليه السلام– واطمئنان قلوب الحواريين بإنزال المائدة عليهم من السماء؛ لتكون عيدًا لأولهم وآخرهم، وتكون علامة على قدرة الله وتصديق الناس بنبوّته، أنتقل إلى الآية الأخيرة من سياقات جمع القلب المطمئن بذكر الله وبالقرآن الكريم، وما جاء به من أخبار صادقة.

(الآية الرابعة)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الرعد: ٢٨).

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: تسكن قلوبهم بذكر الله، وقيل: تستأنس قلوبهم بذكر الله، والسكون باليقين، والاضطراب بالشك، قال الله تعالى في شأن المشركين: ﴿إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أي: اضطربت.

وقوله: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ معناه: ألا بذكر الله تسكن القلوب، وطمأنينة القلب بزوال الشك منه واستقرار اليقين فيه، فإن قال قائل: أليس

الله تعالى قال: ﴿وجلت قلوبهم﴾ فكيف توجل وتطمئن في حالة واحدة؟ والجواب: أن الوجل بذكر الوعيد والعقاب، والطمأنينة بذكر الوعد والثواب، فكأنها توجل إذا ذكر عدل الله وشدة حسابه، وتطمئن إذا ذكر فضل الله وكرمه[٣٧].

(ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ) في محل نصب بدلًا من قوله: من (أناب) وتطمئن: تسكن قلوبهم بذكر الله، قال مقاتل: بالقرآن، والسكون يكون باليقين، والاضطراب يكون بالشك، ألا بذكر الله تطمئن القلوب، تسكن قلوب المؤمنين ويستقر فيها اليقين.

قال ابن عباس: هذا في الحلف، يقول: إذا حلف المسلم بالله على شيء تسكن قلوب المؤمنين إليه، فإن قيل: أليس قد قال الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ (الأنفال: ٢)، فكيف تكون الطمأنينة والوجل في حالة واحدة؟

قيل: (الوجل) عند ذكر الوعيد والعقاب و(الطمأنينة) عند ذكر الوعد والثواب، فالقلوب توجل إذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه، وتطمئن إذا ذكرت فضل الله وكرمه[٣٨].

---

[٣٧] تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم (٩٢/٣) الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية.

[٣٨] معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي (٢٠/٣) الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت.

– وسياق الآية جاء للتعبير عما تجده القلوب من طمأنينة ذكر الله والإيمان به:

فعبر باسم الموصول الذي يفيد الاستغراق والشمول(الذين) فأفاد العموم، وأتى في سياق المدح لهؤلاء المؤمنين، وذلك ليؤكد في الحث على ذكر الله، أي مدح المؤمنين حق الإيمان باطمئنان قلوبهم بذكر الله.

– وعدل عن التعبير بالفعل الماضي إلى الفعل المضارع: في قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ)، ولم يقل الموضع (واطمأنت قلوبهم) لإفادة حدوث الاطمئنان وتجدده حسب تجدد الذكر.

– وطمأنينة القلب تكون بزوال الشك منه واستقرار اليقين فيه، وهذا لا يتحقق إلا بذكر الله، فـ (الاطمئنان) المراد به السكون، واستعير هنا لليقين وزوال الشك.

– وذكر لفظ (القلب) من قبيل المجاز المرسل لعلاقة الجزئية، فقد عَبَّر بالجزء وهو (القلب) وأراد الكل وهو (النفس أو الجسد كله)؛ وذلك لأن التعبير بالجزء له مزيد اختصاص بالكل، كما أن الغرض من المجاز الإيجاز في التعبير، وإبراز العلاقة الوطيدة والصلة القوية بين الجسد والقلب إلى درجة أن كلًّا منهما يحل محل الآخر في التعبير، وقد حقق هذا المجاز «إثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير، حتى يكاد ينظر إليه عيانًا»[٣٩].

– و(ألا) للتنبيه على أن ذكر الله هو مبعث الطمأنينة والسكون للقلوب.

---

[٣٩] علم أساليب البيان د غازي يموت ص٢٣٢، ط٢، ١٩٩٥م، ط دار الفكر اللبنانية.

- وتأمل تكرار الفعل المضارع (تطمئن) ليؤكد على أهمية ذكر الله، وأيضًا لبيان ما له من أثر على استقرار قلوب الذاكرين، وعدم تزعزعها، كما تدل على صفائها، فبصفائها تصفو لهم الحياة.

- وكرر لفظ(القلوب)؛ لأنها محل الاطمئنان والخوف والسكون والتزعزع.

كما أن في تكرار لفظ (الذكر) دعوى إلى اللجوء والتمسك بالمنهج الرباني وهو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لما له من أثر على حفظ النفس المؤمنة بتمسكها بالمنهج القويم، وحفظها من الانحراف عن الطريق المستقيم، فليس هناك نعمة تعادل الأمان والطمأنينة التي تصفو الحياة بصفائها وتعكر بكدرها.

- وسياق الآية جاء للتعبير عما تجده القلوب من راحة ذكر الله والإيمان به، وفي الآية التي قبلها كان سياق الحديث هو طلب المشركين دليل على نبوة سيدنا محمد ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ قال تعالى: (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ) (الرعد: ٢٧).

- والآية التي هي محل البحث مسوقة لبيان حال المؤمنين الموحدين الذاكرين الله ذكرًا كثيرًا، فيبدلهم الله بهذا الذكر طمأنينة القلب، وتكون بزوال الشك منه واستقرار اليقين فيه، ثم بين الله في الآية التي بعدها عاقبة المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله بأن اختصهم دون غيرهم بخيري الدنيا والآخرة، قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) (الرعد: ٢٩).

- كما وضحت الآية أن القلوب تطمئن بالقرآن الكريم وما جاء فيه من أخبار وقصص وشرائع وعقائد لا تدع مجالًا للشك فيها، فالاطمئنان يثبت كل إنسان اضطرب قلبه أو أسرف فيوجل، وحين يذكر الله ويتذكر عفوه ومغفرته وصفحه يطمئن قلبه.

المبحث الثالث

موازنة بين مواقع القلب المطمئن

من حيث الإفراد والجمع والموضع

إفراد القلب المطمئن ورد في سورة البقرة في قصة سيدنا إبراهيم- عليه السلام- في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ (البقرة: ٢٦٠)، حيث وردت الآية في كيفية اطمئنان القلب بالرؤية والمشاهدة لكيفية الإحياء؛ لأن الحديث في الآية التي قبلها هو التشويق إلى كيفية عمارة القرية الخاوية على عروشها.

- كما ورد أيضًا بصيغة الإفراد في سورة النحل في قوله تعالى﴿

﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ (النحل: ١٠٦)، لتحدد العلاقة بين الطمأنينة والأمن من الخوف؛ لأن الآية التي قبلها تتحدث عن انتفاء الإيمان من المعاندين لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ المستمرين في تكذيبهم لما جاء به من البينات فجاءت الآية التي هي محل البحث للحديث عن العلاقة بين الكفر والإكراه عليه، فالكفر إما باللسان وإما بالقلب، واستثنى منه من نطق به وقلبه مطمئن بالإيمان في حالة إكراهه على الكفر خوف من الهلاك، فجاءت الآية لتبثّ في قلوبهم الأمن بعد الخوف مما ارتكبوه بسبب إكراههم على ذلك، ثم ختمها بالحديث عن الكفرة المطمئن قلبهم بالكفر بأن عليهم غضب شديد من الله ولهم عذاب عظيم في الآخرة وذلك بسبب إيثارهم وتفضيلهم للدنيا الفانية على الآخرة الباقية.

– وتنوعت وسائل الإفراد للفظ القلب من حيث عودة الضمير فيها، حيث قال: (قال بلى ولكن ليطمئن قلبي، إلا من أكره وقلبه مطمئن)، حيث أفرد لفظ (قلب) مضاف إلى ياء المتكلم أثناء الحديث عن كيفية الإحياء، وكيفية تأثيره على نفس سيدنا إبراهيم – عليه السلام– واطمئنان قلبه به، و(بَلَى) إيجاب لما بعد النفي، معناه (بلى آمنت وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ليزيد سكونا وطمأنينة)، وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين، فأراد بطمأنينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك، فالرؤية هنا رؤية العين لا رؤية القلب، وجاءت الإضافة لتعظيم شأن المضاف والمضاف إليه وهما قلبه ونفسه؛ ولأنها أوجز في التعبير وإيصال المعنى المراد.

بينما أفرد لفظ (القلب)، وألحقه بهاء الغائب أثناء الحديث عن عمار بن ياسر – رضي الله عنه – حين أخذه المشركون، وأكرهوه على سب النبي –صلى الله عليه وسلم– فطاوعهم في بعض القول فنزل فيه قوله: (إلا من أكره وقلبه مطمئن) لتدل على أن من أكره على النطق بكلمة الكفر فتلفظ به وقلبه مطمئن بالإيمان لم تتغير عقيدته، فهو ثابت على ما كان عليه.

– أما جمع (القلب المطمئن) فقد ورد في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ ﴾ (آل عمران: ١٢٦).

– وقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (الأنفال: ١٠).

واقترنت طمأنينة القلب بالبشرى في الآيتين؛ لأن الحديث في الآية التي قبلها وبعدها في السورتين عن غزوة بدر، وكيف نصرهم الله على أعدائهم مع قلة عددهم بإمداده لهم بالملائكة كبشرى بالنصر، وليست هي السبب الحقيقي،

بل لا بد من اطمئنان القلب؛ لأن النصر الحقيقي هو إرادة الله لهم بالنصر، وكان نصر الله لهم بإهلاك فريق من الكفار وإلحاق ما تبقى منهم بالخزي.

- كما وردت بصيغة الجمع في سورة المائدة في قوله تعالى:

﴿ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ (المائدة: ١١٣)، واقترنت في الآية طمأنينة القلب بإنزال المائدة من السماء لغرض الأكل؛ لأن الحديث في الآية التي قبلها كان بين سيدنا عيسى ــ عليه السلام ــ والحواريين حين سألوه عن قدرة المولى -عز وجل- في إنزال مائدة طعام عليهم من السماء وما كان منه إلا أن أمرهم بأن يتقوا عذاب الله إن كانوا مؤمنين، فردوا عليه في الآية التي محل البحث بذكر العلة من سؤالهم وهي الاطمئنان بالأكل منها ﴿نريد أن نأكل منها﴾ أي أن السؤال لم يكن للشك في قدرته -سبحانه- على تنزيلها أو في صحة نبوته وإنما كان أكل تبرك، وتصديق لنبوته ويشهدوا بها عند من لم يروها ليزدادوا إيمانا واطمئناناً بشهادتهم.

- كما ورد بصيغة الجمع في سورة الرعد في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الرعد: ٢٨)، وجاءت الآية الكريمة للتعبير عما تجده القلوب من راحة بذكر الله والإيمان به؛ لأن الآية التي قبلها كان الحديث فيها عن طلب المشركين دليلًا على نبوة سيدنا محمد ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ، فجاءت بالآية التي هي محل البحث مسوقة لبيان حال المؤمنين الموحدين الذاكرين الله ذكرًا كثيرًا، فيبدلهم الله بهذا الذكر طمأنينة القلب، وتكون بزوال الشك منه واستقرار اليقين فيه.

وتنوعت وسائل الجمع للفظ (القلب) من حيث عودة الضمير فيها، حيث قال: (قلوبكم، قلوبنا، قلوبهم، القلوب)، فأثناء مخاطبته للمقاتلين في غزوة بدر

أتى (بكاف) الخطاب في قوله: (قلوبكم)؛ وذلك لبث الطمأنينة في نفوسهم؛ لأنّه أنسب للغرض المقصود من الكلام، إذ المقصود في الآية هو حث المخاطبين على القتال، وتبشيرهم بالنصر بمعنى: وما كان هذا الإمداد إلا لتستبشروا به، وتطمئن به قلوبكم، وذلك من باب إدخال السرور في قلوبهم، وحصول الطمأنينة لهم بالنصر، وضمير الخطاب فيه مواجهة «تُوقظ النّفس من الغفلة، وتَشُدُّهَا فتلتفت إلى المتكلِّم، وهي مستعدةٌ لتلقّي ما يصدر عنه من أمر أو نهي أو عتاب»(٤٠)، بينما أتى بضمير التكلم أثناء طلب الحواريين من سيدنا عيسى –عليه السلام– إنزال المائدة من السماء علامة على قدرة الله وتصديق الناس بنبوّته، في قوله: (قلوبنا)، وضمير التكلم من أنسب وسائل الوصول للغرض المقصود من الكلام، وضمير التكلم يؤتى به في مقام تقوية الخبر وتأكيده، وفضل هذا التوكيد يبدو فيما يوحي بشدة تعلقهم بإنزال المائدة، وتمكن حب الأكل في نفوسهم.

كما أتى أيضًا بضمير الغيبة أثناء الحديث عن استئناس القلوب واطمئنانها بذكر الله في قوله: (وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُهُم)، و(تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ)، فالحديث في الآية مسوق لبيان حال المؤمنين الموحدين الذاكرين الله ذكرًا كثيرًا، فيبدلهم الله بهذا الذكر طمأنينة القلب، وأنه قد اختصهم دون غيرهم بخيري الدنيا والآخرة، ثم عمم المولى–عز وجل– في آخر الآية فائدة الذكر على جميع القلوب المؤمنين والمسلمين بعودة الطمأنينة على قلوبهم، وهذا ما أفاده تعريف المسند إليه (القلوب) بلام العهد الخارجي الصريح، حيث قد تقدم لمدخولها ذكر صريح في قوله: (قلوبهم).

ومن خلال ما سبق يتبين ما يلي:

---

(٤٠) لبّ البلاغة د/ بسيوني عرفة رضوان/١٤٢ (ط دار الرّسالة للطّباعة).

- معاني الطمأنينة قد تعددت بتعدد السياق الذي وردت فيه، وقد دارت أغلب معانيها حول: سكون القلب ويقينه.

- كما تبين أن منبع الطمأنينة هو القلب السليم الذي أخلص العبودية للمولى -عز وجل-، حيث إنها أحد أنواعه، فالقلوب السليمة متنوعة ومتعددة فمنها: القلب المطمئن، ومنها: القلب المخبت، ومنها: القلب المنيب، ومنها: القلب الخاشع، وغيرها من الأوصاف.

- ليس المقصود بالقلب في البحث: (المضغة) وهي قلب الإنسان فقط، وإنما المقصود: الروحانيات المتصلة به، وأن الإيمان الخالص الذي لا تشوبه شائبة يثمر طمأنينة القلب وراحته، وقناعته بما قسم له.

- كما تعددت وسائل الطمأنينة - التي هي موضع البحث - منها: المشاهدة والمعاينة، ومنها: السكون والثبات بعد الانزعاج والإكراه على الكفر، ومنها: التبشير بالنصر؛ لذا تنوعت صيغها بالمجاز اللغوي بين الاستعارة والمجاز المرسل.

الخاتمة

وتشتمل على

أهم النتائج – وأهم التوصيات

أولًا: أهم النتائج:

الظواهر البلاغية التي وردت في البحث:

– كان للأفعال المضارعة الصدارة في معظم الآيات، وذلك للدلالة على تجدد الاطمئنان والرؤية بالمشاهدة، وأيضًا لاستحضار الصورة الجميلة التي يكون عليها اطمئنان القلوب بالذكر وغيره.

– تنوعت الأساليب التي خاطب المولى – عز وجل– بها عباده بين الخبر والإنشاء، ولكن الأساليب الخبرية تأتي في المقدمة، لتقرير المعنى وتوضيحه وتأكيده في ذهن المخاطب؛ لأن سياق الآيات يتحدث عن طمأنينة القلب، لذا جاء بالأسلوب الخبري؛ لأن له تأثير على العقل حين تعرض عليه الحقائق .

– وكان من أهم ألوان الإيجاز (الإيجاز بالحذف)، وكان المحذوف إما جزء جملة أو جملة، وذلك للتفخيم والتعظيم من شأن الطمأنينة والتلذذ بها حين ترسخ في القلوب وتسكن في النفوس.

– كما تعددت صور الإطناب بالاحتراس أو التكميل والتكرار، وذلك من باب التأكيد والمبالغة.

– وكان لاستخدام علم البيان بصوره المختلفة المتمثلة في التشبيه والاستعارة والمجاز المرسل، وبدا للتشبيه التمثيلي دور كبير في سياق البُشرى، وذلك لما له من قيمة كبيرة في أداء المعنى من المبالغة في الحسن والجمال.

– ولا يخفى دور الكناية وذلك لما لها من قيمة بلاغية كبيرة، فهي أبلغ من التصريح والاستعارة أيضًا لإفادتها المبالغة وتأكيد المعنى وتقريره.

- وبدا للمجاز المرسل دور واضح، حيث جاء لعلاقة المحلية، فقد عَبَّر بالمحل وهو (القلب) وأراد الحال فيه وهو الإيمان والثبات والاستقرار، وعدم التقلب والخوف والترحال، وتبين من خلال المجاز المرسل الرخصة التي منحها الله لعباده حين إكراههم على الكفر، في إظهارهم الكفر بالقول دون أن يتغير في الاعتقاد.

ثانيًا: أهم التوصيات

وأما أهم التوصيات التي أوصي بها، فهي ما يلي:

١- الاهتمام بدراسة القرآن الكريم، وخاصة مواطن القلب السليم والمريض التي ورد ذكرها فيه، وتحليلها؛ لإبراز الإعجاز القرآني فيها.

٢- مواصلة البحث في مواطن القلب السليم بتناول باقي أنواعه، فمنه المنيب والمخبت والوجل والتقي والمهدي، والأواه وغير ذلك، حيث إنني اقتصرت في بحثي هذا على نوع واحد فقط من أنواعه وهو القلب المطمئن فهي لا تزال في حاجة إلى التنقيب عنها بتحليل ما فيها من ألوان بلاغية متعددة.

وبهذا أكون قد وصلت إلى نهاية البحث، ولا أقصد بنهايته أنني قد أغلقت الباب على هذا الموضوع أمام الباحثين، بل الباب مفتوح لمن أراد المزيد، والله أسأل أن يلبس بحثي ثوب القبول، وأن يجعله خالص لوجهه الكريم، فإنه أفضل مأمول، وأكرم مسئول.

فهرس المصادر والمراجع

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- أساس البلاغة المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني محمود محمد شاكر، ط١، ١٩٩١م مطبعة المدني.
- البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
-البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الرزكشي (ت ٧٩٤ هـ)، تقديم وتعليق مصطفى عبد القادر، دمشق، ٢٠٠٥.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) المحقق: محمد علي النجار الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- بلاغة القصر دراسة نقدية تحليلية د/ عبد العزيز أبو سريع، ط١٩٨٦،١م مطبعة السعادة القاهرة.

- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر - سنه النشر: ١٩٨٤ م.

- تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية

- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠ م

- تفسير القرآن الكريم (ابن القيم) المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الطبعة: الأولى - ١٤١٠ هـ، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت.

- التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن بكر بن الحسن التميمي الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانية، د.ت.

- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق.

– تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت.

– ـ دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ـ ت ـ محمود محمد شاكر ـ ط٣ ١٤٣١هـ ١٩٩٢م ـ دار المدني بجدة.

– رؤى في البلاغة العربية دراسة تطبيقية لمباحث علم البيان د أحمد محمود المصري، ط١، ٢٠٠٨م دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

– علم أساليب البيان د غازي يموت، ط٢، ١٩٩٥م، ط دار الفكر اللبنانية.

– كتاب العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو ابن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.

– الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

– لبّ البلاغة د/ بسيوني عرفة رضوان (ط دار الرّسالة للطّباعة).

– اللغة العربية معناها ومبناها، الدكتور تمام حسان، القاهرة، ٢٠٠٤م.

– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى:

٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت.

-معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، علية عزة عياد، الرياض، ١٩٨٤.

- المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة.

- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق

وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد= الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.